المدافع تصم الآذان فى جنوب منشوريا ، وجنود اليابان تكتسح الأراضى الصينية بقيادة الجنرال الشاب شنج شو ، وزحف الظلام وهدأ الليل إلا من أصوات بضعة مدافع كانت ترسل قذائفها بين الحين والحين . وأوى الجنرال شو إلى مخدعه يسترق إغفاءة الفجر ، وفى الصباح دخل إليه مستشاره اللازم تسنغ ، قال :

— كثر عدد الأسرى الصينيين ياسيدى الجنرال ، وقلت المؤن فأضحى حالهم يفتت الأكباد

وتحرك الجنرال الشاب فى مقعده قليلاً ونظر إلى نافذة تطل على الميدان وارتسمت على وجهه علامات الاشفاق لما رأى فعل العرى والجوع بأسراه ، وأخذت أصابعه تعبث فى شاربه الصغير بحركة آلية ، وقال بهدوء :

— اقتلوهم جميعاً رمياً بالرصاص

— نسيت أن أقول إن بينهم فتاة وجدت بالخنادق الصينية أمس عند استيلائنا عليها ، وكانت فاقدة الوعى من شظية قنبلة أصابت ساقها

— أجاسوسة هى ؟

— أظن ذلك

ووقف الأسرى يرجون بالموت ينتشلهم من ربقة الأسر وتعذيب الجنود

أما الأسيرة فقد تضعضع جلدها حين سيقت إلى المحاكمة ، وكانت تعلم أنها محاكمة صورية سيعقبها حتما الحكم بالاعدام . . .

وجىء بها فى أسمالها نصف عارية ، وأخذت تنظر فى شىء من الحيرة والذهول الى القاعد الوثيرة المنثورة هنا وهناك ؛ ولفحها دفء الوقد ، فاندفع الدم حارا فى جسدها فبدت عذراء الصين فى ثوبها البالى كدمية لأمهر فنان

* * *

كان الجنرال شو كـكل يابانى يقدس وطنه ويعبد امبراطوره ، ولذلك كبح جماح عاطفته لما اهتز كيانه لمرأى الفتاة وحول نظره عنها ، فرجع به النظر كأن جمالها لا ينتهى فما ينتهى الاعجاب بها . وسألها فى خشونة عن علة وجودها فى ساحة القتال

وتكلمت تسى تانا فكانت كلماتها الموسيقية تستقر فى قلبه ، قالت إنها كانت الى جانب شقيق لها تخفف عنه ويلات الحرب . . .

وطغت على رأس الجنرال شنج شو أقسى قواد اليابان وأصلبهم عودا زوبعة نفسية هائلة ، وعجب لنفسه إذ توقظ فيه فتاة الصين عاطفة الحب الذى

لم يشعر به من قبل . . . وعبثا حاول أن يستجمع شتات حواسه ، وراعه بريق عينيها الجميلتين ترقبان ما ستنفرج عنه شفتاه

كان يرى فى إعدامها فناءه ، وفى الابقاء عليها خيانة لوطنه وامبراطوره

وكان يابانيا ... فأنكر عاطفته ونطق بالاعدام

* * *

وسيقت تسى نانا إلى قبو قلعة مجاورة فى انتظار تنفيذ الحكم

ودخل الجنرال الشاب حجرته محطم القلب ممزق الأحشاء وما انتصف الليل حتى شعر بشوق إليها كالجنون ..

ولم يعبأ بدهشة جنوده وحراسها لما قام يدفعه قلبه إلى فاتنته

وذعرت الفتاة لمرآه ولكن روحه قفزت إلى عينيه تنطقان بغرامه العاصف فاطمأنت إليه ...

ونظر إلى فاتنته المزيفة تعبث السكاكية بنضرة شبابها وإلى جفنها الرطب كأنما علق به أثر من دمع

ووقف أمامها وقد تضاءل الوجود فى نظره فأصبحت هى كل شىء فيه . واستقر بريق عينيها فى أعماق قلبه ناراً فجلس إلى جانبها يحترق ...

قالت :

— أللتنفيذ الحكم جئت ؟

— أجلته أياما

— إذاً تريد تعذيبى ؟

وعز عليه وهو القائد الظافر أن يعترف لها بهزيمته ، وفتك أنوثتها برجولته ، فقال :

— ذلك ما تستدعيه الظروف

وخشى غدر عاطفته أن تضطره إلى الاعتراف فقام يقتلع ساقيه اقتلاعا

ومرت أيام كان كلما جن الليل جلس إليها ساعة يحدثها فى كل شىء إلا غرامه

* * *

ما كانت نانا تشعر بالحب للجنرال ...

وإذ أحست بالقلق ذات ليلة لغيابه عجبت لنفسها من أمرها ومرت ساعات وهى ترقب وقع أقدامه وسهدت حتى مضى أكثر الليل وتخيلت نظراته الطافحة حباً وعطفه الجميل ، فأحست بقلبها الثائر يلتف بخياله ويعترف بولهه ...

ومضى النهار أقبح من ليل داج مخيف

وأغارت أسراب الطيارات الصينية على القلعة تحاول نسفها

وجزعت نانا إذ تموت قبلما ترى الرجل الذى توهجت للقائه ، وتساقطت القنابل على القلعة كالمطر المنهمر حتى إذا انتهت الغارة دخل عليها ضابطان من سلاح الطيران اليابانى وخرجا بها إلى طائرة فى سفح الجبل وفى دقائق كانت الطائرة تنهب بهم الجو إلى الميدان الشمالى لتدلى نانا بشهادتها فى قضية اتهام الجنرال شنج شو بالخيانة العظمى

ودخلت نانا إلى المكان الذى يحاكم فيه الجنرال وتقطعت أوصالها لما رأت تحوله وشحوبه والتقت عيناها ، فرأت صدره يعلو ويهبط . ها هى عيناه تبسمان لها

من لها بكلمة عطف يلفظها فمه ليرتوى بها قلبها الظامىء ؟

وقطع عليها خيالاتها دخول أعضاء المجلس العسكرى ونظرت الى رئيسه الأشيب وقد بدت فى قسمات وجهه دلائل الغلظة والهدوء

وطلب الرئيس من الجنرال أن يقسم بشرفه العسكرى ليقولن الحق فأقسم

قال الرئيس :

— ترامى إلى القيادة العليا نبأ حكمك بالاعدام على الجاسوسة الصينية تسى نانا ... أفعلت ؟

— نعم

— فاذا ما جن الليل ذهبت إليها ؟

— نعم

وأجلت تنفيذ الحكم باعدامها ؟

— نعم

— أذلك لأنها شغفتك حباً ؟

وهنا اختلج قلب الجنرال ونظر إلى نانا فاذا بوجهها أبيض كالثلج وتمتم :

— نعم أحببتها

أحببتها . . ! !

وحملت هذه الكلمة سعادة الدنيا ودخلت الى صدر نانا ، ونظرت الى رجلها يعترف بحبها فأشرق وجهها وابتسمت له

وتداول الرئيس مع الأعضاء فى صوت خافت وانتصب فى جلسته ونطق بالحكم

* * *

وتلقى الجنرال حكم إعدامه مع نانا بهدوء بال ورباطة جأش ... وتأوهت نانا وسكنت كأنما على رأسها الطير

* * *

استولى الجنود اليابانيون على منشوريا فأمر الامبراطور بتسريح الأسرى والعفو الشامل عن جميع المحكوم عليهم ، وأسرع أحد الفرسان الى الميدان برسالة الامبراطور لينقذ حياة الجنرال ونانا

والطريق طويل صخرى ، والفارس يهب الأرض بجواده وقد بقى على موعد إعدامهما نصف ساعة . ومضت عشرون دقيقة كان قد نال الجواد الاعياء ، فيئس الفارس من إمكان الوصول ، ولكن الأمل عاوده فاستحث الجواد

ها قد لاحت له خيام المعسكر كنقط بيضاء تحت الأفق . ولم يبق سوى خمس دقائق ...

ووقفت نانا تنظر إلى فوهات عشر بنادق تصوب الى صدر حبيبها . فأظلمت فى عينها الدنيا وشمرت بقلبها يتصدع ...

ودوى الرصاص فسقط الجنرال وسقطت معه شهاب قلبها ...

وصوبت إليها الفوهات بدورها ونادى رئيس القوة :

واحد

اثنان

وإذا بالفارس يصرخ ويسقط من على ظهر جواده اللاهث أمام الرئيس وبيده الرسالة ، فتناولها منه ونظر إليها وإلى جثة الجنرال ، فازدحمت فى عينه الدموع ودفع الرسالة إلى نانا

وهوت نانا على جثة رجلها تشبعها لثما وتقبيلا فأبعدها عنها الجنود برفق فنظرت نانا إلى السماء وقالت :

— رب لم حكمت على بالحياة ؟

محمد محمد مصطفى

أمين بلوك الضباط بمدرسة البوليس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشا